[الهمج]

وهمة بعيد ونفس تتوق الى معالي الامور مع عيش كعيش الرعاع قيل فالذى
يبرد غليلك قال الظفر بالملك قيل فاطلبه قال لا يطلب الا بالاهوال قيل
فاركب الاهوال قال العقل مانع قيل فما تصنع قال ساجعل من عقلي جهلا
واحاول به خطرا لا ينال الا بالجهل واذبر بالعقل ما لا يحفظ الا به فان
الخمول اخو العدم فنظرت الى حال هذا المسكين فاذا به قد ضيع اهم المهمات
وهو جانب الاخرة وانتصب في طلب الولايات فكم فتك وقتل حتى نال
بعض مراده من لذات الدنيا ثم لم يتنعم في ذلك اكثر من ثمان سنين ثم
اغتيل ونسي تدبير العقل فقتل ومضى الى الاخرة على اقبح حال وكان المتنبي يقول

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ❊ ومركوبه رجلاه والثوب جلده ❊
ولكن قلبا بين جنبي ماله ❊ مدى ينتهي بي في مراد احده ❊
ترى جسمه يكسى شفوفا تربه ❊ فيختار ان يكسى دروعا تهده ❊

فتاملت هذا الاخر فاذا همته فيما يتعلق في الدنيا بالدنيا فحسب ونظرت
الى علو همتي فرايتها عجبا وذاك انني اروم من العلم ما اتيقن اني لا اصل
اليه لانني احب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها واريد استقصا كل فن — العلوم
وهذا امر يعجز العمر عن بعضه فان عرض لي ذو همة في فن قد بلغ منتهاه
رايته ناقصا في غيره فلا اعد همته تامة مثل المحدث فاته الفقه والفقيه فاته
علم الحديث فلا ارى الرضا بنقصان من العلوم الا حادثا عن نقص الهمة
ثم انني اروم نهاية العمل بالعلم فاتوق الى ورع بشر وزهادة معروف وهذا
مع مطالعة العلم والتصانيف وافادة الخلق ومعاشرتهم بعيد ثم اني اروم الغنى
عن الخلق واستشرف الافضال عليهم والاشتغال بالعلم مانع من الكسب
وقبول المنن مما تاباه الهمة العالية ثم اني اتوق الى طلب الاولاد كما اتوق
الى تحقيق التصانيف ليبقى الخلفان نائبين عني بعد التلف وفي طلب
ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للخلوة للتفرد ثم اني اروم الاستمتاع

بالمستحسنات

بالمستحسنات وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثم لو حصل فرق جمع الهم
وكذلك اطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم والمشارب فانه تعود
للترف واللطف وفي قلة المال مانع وكل ذلك جمع بين الضداد فاين انا
وما وصفته من كانت غاية همته الدنيا وانا لا احب ان يخدش حصول
شيء من الدنيا وجه ديني بسبب ولا ان يوثر في علمي ولا في عملي فوا قلقي
من طلب قيام الليل وتحقيق الورع مع اعادة العلم وشغل القلب
بالتصانيف وتحصيل ما يلايم البدن من المطاعم واسفي على ما يفوتني
من المناجات في الخلوة مع ملاقات الناس وتعليمهم وياكدر الورع
مع طلب ما لا بد منه للعايلة غير اني قد استسلمت لتعذيبي ولعل تهذيبي
في تعذيبي لان علو همتي لطلب المعالي المقربة الى الحق عز وجل وربما كانت
الحيرة في الطلب دليلا الى المقصود وها انا احفظ انفاسي من ان يضيع منها نفس
في غير فايدة وان بلغ همتي مراده والا فنية المومن خير من عمله — بلغ مقابلة

فصل

لما سطرت هذا الفصل المتقدم رايت احكا ادكار النفس بما لا بد لها
في الطريق منه وهو انه لا بد لها من التلطف فان قاطع مرحلتين في مرحلة
حليف بان يقف فينبغي ان يقطع الطريق باللطف ممكن واذا تعبت الرواحل
الرواحل نهض الحادي يغنيها واخذ الراحة للمجد وغوص السالك في طلب
الدر صعود ودوام السير يحسر الابل والمفازة صعبة ومن الاذان برى التلطف
بالنفس فلينظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يتلطف بنفسه ويمازح
ويخالط النساء ويقبل ويمص اللسان ويختار المستحسنات ويستعذب له
الماء ويختار الماء البارد والاوفق من المطاعم كلحم الظهر والذراع والحلوى
وهذا كله رفق بالناقة في طريق السير فاما من جرد عليها السوط فانه
يوشك ان لا تقطع الطريق وقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى واعلم انه ينبغي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)